

تأليف : د. مرعى مدكور

رسوم : عزيزة أبو العلا

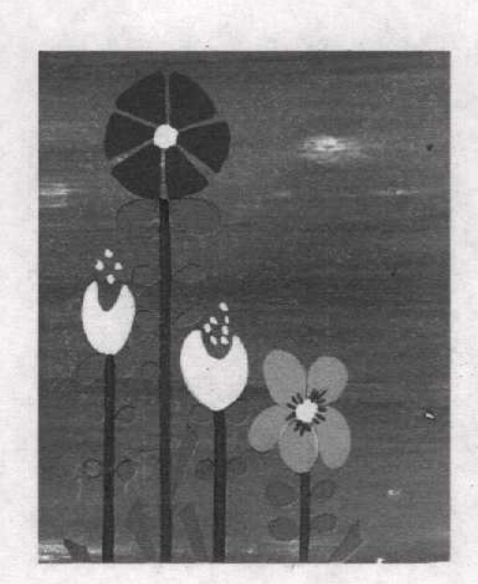


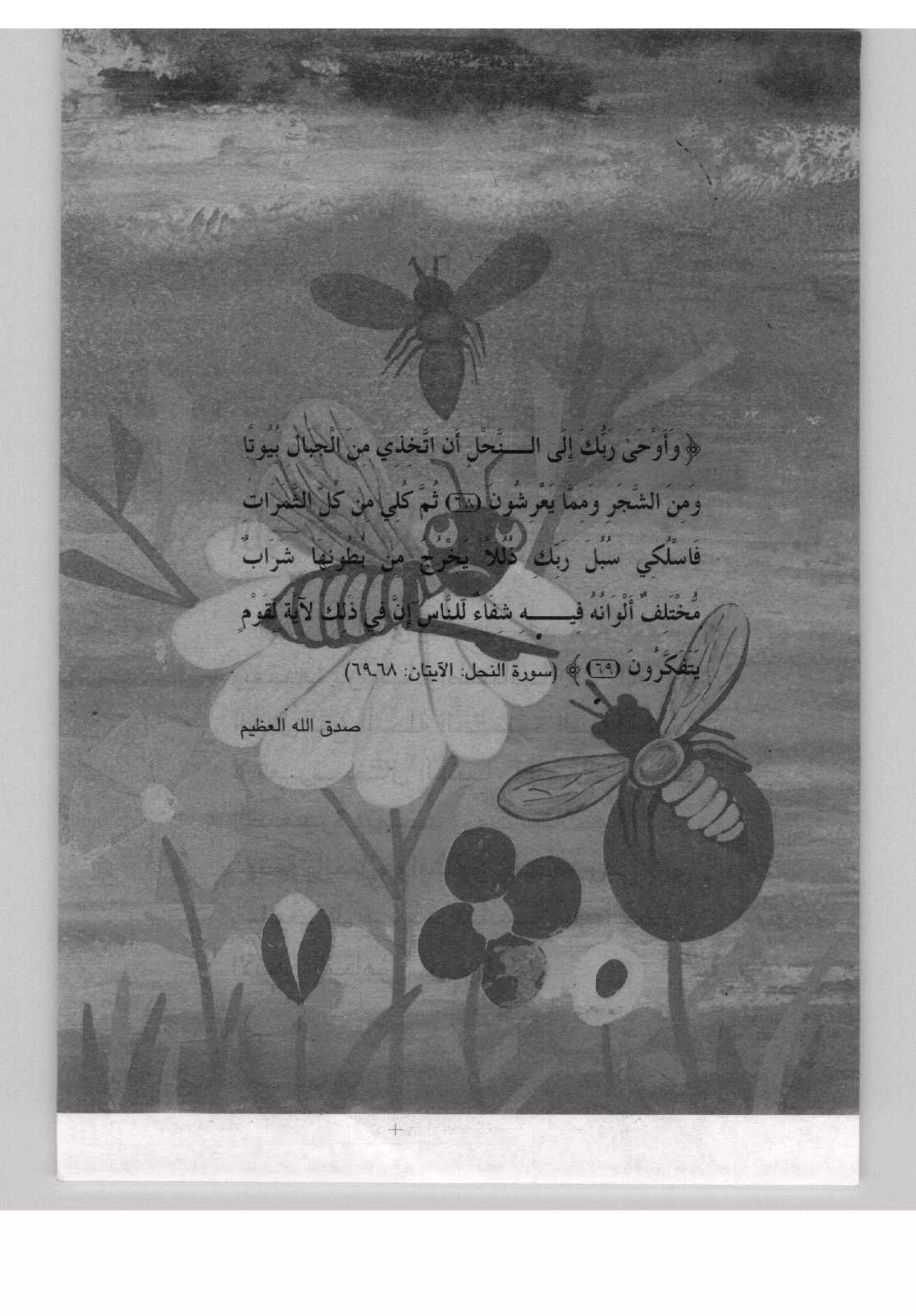
الهيئة المصرية العامة للكتاب

إهـــداء

إلى ابنتى «شيرين»

فرحة الحاضر وإشراقة المستقبل....





﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ
فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ
مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) ﴾ (سورة النحل: الآيتان: ٦٨-٦٩)

صدق الله العظيم



اللوحة الأولى

الغـــرورُ الذِى يفـــسِدُ طيـبـــةَ النفسِ ويفقدُهَا براءَتها واطمَئنانَها؛ هذا الغرورُ القاتلُ نفخَ النَّحلةَ الصغيرةَ المدلَّلةَ التى لا تعــرفُ حـال الدنْيــا، اغــتــرتِ النحلةُ الصَّغـيرةُ فنفـختْ ورمَتْ سـلاحَهَـا غـيرَ مهتمة بالعملِ، واقشعرَّ جسدُها وهى تَرى زعَابيبَ كلِّ مـوسمٍ قـادمــةً معَ «النحَّالِ» الآدمى الشاهقِ مثلَ جبلٍ.

سـرحتِ النحلةُ الصـغيرةُ؛ التى ركبَها الغرورُ؛ وانشغلتْ عنِ الدنْيا وَهِى تحملقُ فى الآدمى «النحّالِ» ـ الشاهقِ مثلَ جبلٍ ـ الذى حطَّ رحالهُ أمامَ مملكةِ النحلِ، ثمَّ بدأَ الآدمىُّ يحصِّنُ نفسَهُ بشبكةٍ سلكيةٍ كبيرةٍ واقيةٍ تغطِّى رأسهُ، ومعهُ منفاخهُ الذى يبخُّ دخانًا ينتشرُ فى دوائرَ متصاعدةٍ مكونًا شبُّورةً قاتلةً، مـا أنْ يرى النحلُ هذه الشبورةَ حتَّى يتسابقَ علَى الهروبِ منْها فى أفواجٍ متلاحقةٍ؛ أملاً فى النجاةِ منَ الاختناقِ.

النحلةُ المغرورةُ ملأَها الغيظُ حتَّى كادَ يفتكُ بها، فقدْ رأتْ علَى الطبيعةِ ـ أمامَ

عينيها ـ شريطًا منْ حكاياتِ الجدّاتِ عنِ «النحّالِ» ـ الشاهقِ مثلَ جبلٍ ـ الذى يقفُ وَسْطَ الدخانِ يجْنى أقراصَ العسلِ، ويجمعُه ويستفيدُ منهُ فوائدَ كثيرةً ومتنوعةً.

وشهقتِ النحلةُ متعجبةً وهى ترى ما جمعه «النحّالُ» من أقراصِ عسلٍ تكوَّمتْ فى أوانيهِ حتى صارتْ مثلَ جبلٍ.

تعجبتِ النحلةُ المغرورةُ منْ هذا الذى يحدثُ أمامَ عينيهَا. فها هو «النحالُ» بعدَ أن ينتهى منْ جمعِ أقراص العسلِ يبتسمُ لابنه ابتسامةَ رضا؛ وتتسعُ ابتسامتهُ وتكبرُ حتَّى تصبحَ ضحكةً عريضةً تملأُ



وجهه، بعدها يحمدُ اللهَ ـ سبحانهُ وتعالى ـ حمدَ الشاكرينَ، ثمَّ يقدمُ لابنه قطعةً من أحدِ الأقراصِ الشمعيةِ، ويقربُها من فمِ الابن؛ قائلاً:

ـ الشهدُ هذا نعمةٌ منَ المنَّانِ يا ولدِى، فيهِ شفاءٌ للناسِ، وفيهِ منافعُ كثيرةٌ.

واقتربتِ النحلةُ المغرورةُ منَ «النحّال» أكثرَ وأكثرَ، واستمعت إليهِ وهو يعددُ فوائدَ العسلِ، وورودهِ فى كتابِ الله ـ سبحانهُ وتعالى ـ بعدها همّ «النحّالُ» بتفريغِ منفاخهِ من قطعٍ خشبيةٍ مدخنة؛ سرعانَ ما انطفأ بعدها منفاخهُ ولم يعدْ يبخُّ دخانهُ القاتلَ، ثمَّ رفعَ الغطاء السلكىَّ

الذى يحيطُ رأسهُ ليقيَهُ لدغَ النحلِ، ورفعَ - أيضًا - الغطاءَ المماثلَ من حولِ رأسِ ولدهِ، وبدأَ فى جمعِ أدواتهِ استعدادًا لمغادرةِ المنحلِ بعد جنى المحصولِ.

هاجتِ النحلةُ المغرورةُ وماجتْ، وركنتْ سلاحها تاركةً بوابةَ الخليةِ، ونسيتْ نفسَها غيرَ مهتمةٍ بالحراسةِ أو ما يحدثُ فى مملكةِ النحلِ من تدبير وإحكامٍ ونظامٍ وعملٍ يجرى على قدمٍ وساقٍ.

تلفتتِ النحلةُ المغرورةُ يمينًا ويسارًا، واقتربتْ أكثرَ وأكثرَ إلى أقربِ نحلةٍ؛ وقالتْ لها فى غيرةٍ وحقدٍ ظاهرينِ:

يا أخيَّتى النحلةَ المغلوبةَ على أمرها:
جففى عرقكِ وأريحى البدنَ قليلاً، وانظرى ماذا فعلَ بمملكتنا هذا «النحّالُ» الآدمى - الشاهقُ مثل جبلٍ - وكيفَ لهُ أنْ يسطوَ على شقاءِ عمرنَا بهذه القسوةِ؟ ولماذا نتركُ ممالكَ النحلِ مناطقَ مستباحةً له ليفعلَ بها ما يفعلُ؟!! إنهُ - يا أخيَّتى - يجىءُ بزعابيبهِ، ويطلقُ دخانهُ الكثيفَ علينا، ولولا استشعارُنا وهروبنا منْ غازاتهِ لاختنقنا وهلكنَا، وبعدَ ذلك كلهِ يسلبُ شهدنَا ويستفيدُ منه استفاداتٍ لا حصرَ لها.



وعندما أحست النحلةُ المغرورةُ أنها استمالت زميلتها إليها؛ مالتْ إليها أكثرَ وأكثرَ وجذبتْ سلاحها وقذفتهُ بعيدًا؛ ثم أكملَتْ:

- سمعتُ الآدمى - والله يا أخيَّتى - يقولُ لابنه؛ هذا المفعوص: إنَّ حلاوةَ السكرِ الموجودِ فى شهدنا أضعافُ حلاوةِ السكرِ الذى يستخرجُ من عيدانِ القصبِ أو ثمارِ البنجرِ، وإنه غنىٌّ بخيراتِ الله من ڤيتامينات، ومعادنَ، وبروتيناتٍ، وهرمونات، وأملاحٍ، وخمايرَ وأحماضٍ مهمةٍ جدًّا لحياةِ الإنسانِ وحيويته.

ملأَ كلامُ النحلة المغرورة رأسَ زميلتها وانشرحت المغرورةُ أكثرَ وأكثرَ وهى ترى زميلتها تكمل لها:

أنا أيضا مغتاظةٌ جدًا مثلَكِ ياصديقتى، ولكن أشدَّ ما يغيظنى أنْ يسطوَ الآدمىُّ على كَدِّنا وعرقنا يبعثرهُ يمينًا ويسارًا في ما يستحقُّ وما لا يستحقُّ، والأشدُّ ألمًا أن بعضَ النسوةِ من بنى الإنسانِ يدهنَّ وجوههنَّ بهِ؛ وهُنَّ فى حالاتِ استرخاءٍ تامٍّ وراحةٍ؛ بدعوى محافظتهنَّ على طراوةِ الجلدِ ونضارته!!

وكررتْ متعجبةً: عجائبَ واللهِ؛ شهدنا الذى فيه شفاءٌ للناس يستخدمه الإنسانُ للمحافظةِ على طراوةِ الجلدِ ونضارتهِ!!.

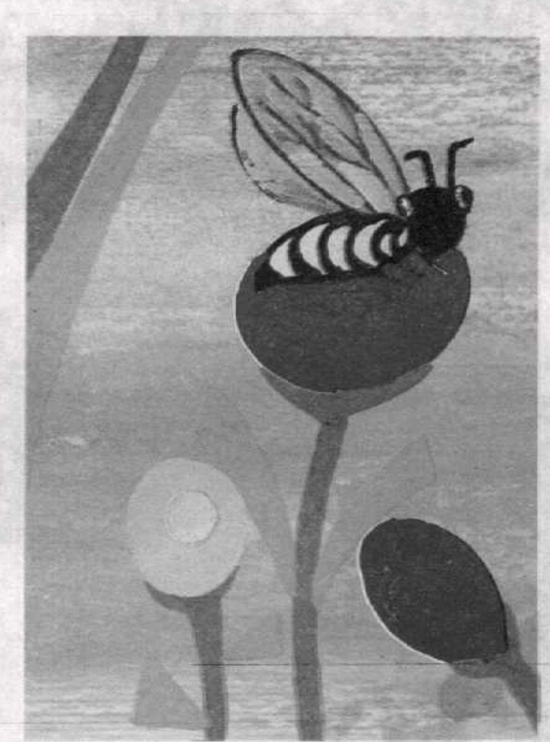
واشتدَّ غضبُ النحلةِ الصغيرةِ؛ بتحريضٍ منَ النحلةِ المغرورةِ؛ وبدأَ

جسدها يهتزُّ، وفجأةً انتابتها قشعريرةٌ فقلصتْ جناحيها وفرشتهُما على آخرهما وهى تنظرُ نظرةَ وداعٍ لرفيقتها، واندبت فوق العين اليُسرى للولدِ الصغيرِ غارسةً ذنَبها المدببَ بينَ رمشِ العينِ والحاجبِ، ولدغتهُ لدغةً مغلولةً وهى تلفظُ آخرَ أنفاسها.

صرخَ الولدُ بأعلى صوته، وراحتْ يده فوق عينهِ وهو يتلوَّى ويتكوَّر على نفسه من الألم ويصيح:

- الحقنى يا أبى؛ عينى ضاعتْ!





اللوحة الثانية

اهتزَّ جسدُ النحلةِ المغرورةِ وهىَ تسمعُ الصرخةَ الموجعةَ التى انفلتتْ من فمِ الولدِ وشاهدت النحلةُ الصغيرةُ زميلتها تفشلُ فى جذبِ إبرتها المغروسة أسفلَ الحاجبِ الأيسرِ للولدِ الصغيرِ؛ هذا الولدُ الذى راحتْ يدهُ ـ لا شعوريًا ـ فوقَ عينه اليسرى لتفعصَ النحلةَ الصغيرةَ التى

تركتْ لسعتُها ألمًا فى سخونة النارِ فوقَ العينِ، وقالت النحلةُ المغرورةُ لنفسها:

- أَنا على حقٍّ، وعقلى زينة، وإذا كانتْ زميلتى قد ماتتْ دفاعًا عن حقنا الذى يغتصبهُ الآدمى فهذا واجبٌ.

وفى تهوُّرٍ واضحٍ؛ اندفعتِ النحلةُ المغرورةُ إلى عرشِ الملكةِ وأشارتْ إلى الحراسِ بنبرةٍ زاعقةٍ وتحدٍّ:

- عندى رسالةٌ إلى جلالةِ الملكةِ.

هبَّ الحراسُ شاهرينَ أسلحتهمُ وحاصروها من كلِّ اتجاه، فوجدت نفسهَا محاطةً بدائرةٍ من الإبرِ والخراطيمِ والحرابِ.. و.

بدأَ الحراسُ يضعونَ القيودَ فى قرنى استشعارِ النحلةِ المغرورةِ تمهيدًا لتقديمها إلى جلسةِ استيضاحٍ؛ لمعرفةِ سببِ خَرْقِها قانونَ مملكةِ النَّحلِ.

منَ الداخلِ جلْجلَ صوتُ الملكةِ الحكيمةِ آمرًا رفعَ القيودِ فورًا عن النحلةِ المغرورةِ، والإسراعِ بفكِّ الحصارِ من حولِها، والانصرافِ إلى العملِ. هدّأت الملكةُ من روعِ النحلةِ المغرورةِ؛ ثم وجهت كلامها إليها قائلةً فى حنانٍ وإشفاقٍ بالغين:

- مابكِ يا صغيرتى؟!!

وأشارتِ الملكةُ الأمُّ إليها لتجلسَ وتلتقطَ أنفاسها؛ ثمَّ تحكى ما عندها.



لكنَّ الغرورَ الذى نفخَ النحلةَ الصغيرةَ التى لا تعرفُ أحوالَ الدنيا؛ هذا الغرور جعلها تنفخُ أوداجها قائلةً:

- ياجلالةَ الأمِّ ملكةَ مملكتنا الطيبة، وسيدةَ النحلِ منتجِ الشهدِ الطيب: اذكرى تفسيرًا واحدًا يجعلُنا (نَحنُ أهلَ الحذقِ والفطنةِ والقناعةِ والدأبِ والتنزهِ عن الدنيئةِ) نسكتُ أزمانًا على هذا الحالِ؛ الذى لا يسرُّ العدوَّ ولا الحبيب؛ نسعَى فى طلعاتٍ متتاليةٍ يوميًّا نجمعُ فيها رحيقَ الزهورِ ونحولهُ شهدًا أودع اللهُ فيه الشفاءَ من كلِّ داء، نتعبُ ونشقَى ولا يصيبُنا الملل، ولا نأكلُ كسبَ غيرِنا، طعامُنا طيبُ يامليكتى، وسعينَا طوالَ النهارِ، ومملكتُنَا المحروسةُ مضربُ المثلِ فى التنظيمِ

والعـمـلِ والـجـدِّ والكدِّ والتـعـبِ، ثم يأتى «النحّالُ» الآدمى - الشاهقُ مثلَ جبلٍ - فى مـواسمِ يعـرفـهـا؛ ليطلق علينا مـداخنه المـهلكةَ، فيتحولُ نهارُنا ظلمـةً وغيـمـةٌ سـوداءُ تطاردُنا حتَّى نهربَ من مملكتنا، ويحلوُ لهُ الجوُّ فيسرق شقاءَ الموسمِ كَله دونَ وجهِ حقٍّ. !!

أشفقت الملكةُ الأمُّ علَى النحلة المغرورة التى مـلأَ عـدمُ الفَهْم رأسَهـاَ، وأدركتْ بتجربتها خطورةَ ما يدورُ فى رأس النحلة المغـرورة من أفكارٍ مـجنونة، وقـالتْ فى نفسـها إنَّ فى صلاح من فَسَدَ من النحلِ صلاحَ مملكةِ النحلِ كلها منْ هلاكٍ أكيد.

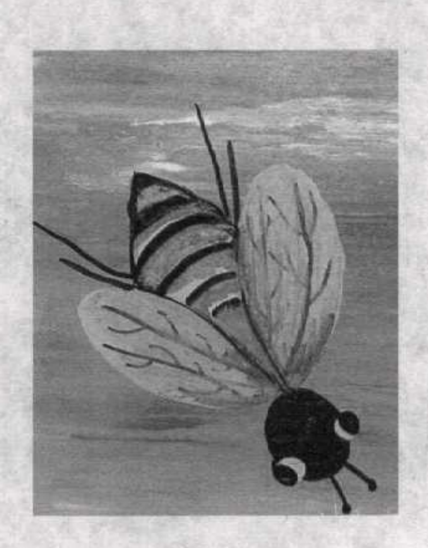
طبطبت الملكةُ على النحلة المـغـرورةِ وأخذتها إَلى جوارها؛ وقالت لَها:

- يا بنيـتى: نحنُ أهلُ عـملٍ ولسنا أهلَ

كلام، فحكمةُ الأجداد قد علمتنا أنَّ ثمرةَ العملِ الثوابُ أوِ العَقابُ، وهذا أدعى للاستقامة وحسنِ السيرة، واعلَمى أنَّ مَنْ قال لك قال عليك، وأن من العلمِ والعقلِ والروية والحكمة والعدلِ إن يتأنَّى الفردُ منّا فى الحكمِ على الأشياءِ.

وركزتِ الملكةُ الأم نظراتها فى عينِ النحلة المغرورة فوجدتها تائهةً، وجزعَتِ الملكةُ الأمُّ على الصغيرة وأوصتها بالراحة هذا اليوم، ثمَّ ودّعتها داعيةً وآملةً من الرحمنِ الرحيمِ أن يكتبَ لها الرضا والسعادةَ وراحةَ البالِ، وتمنتْ لها أحلامًا سعيدةً.





اللوحة الثالثة

أصبحنا وأصبح الملك للهِ:

انتشرَ الضوءُ وطلعتْ شمسُ صباحٍ جديدٍ، ووجدتِ النحلةُ المغرورةُ أهلَ المملكةِ مجتمعينَ كأنهم فى يومِ الحشرِ!!

فقدْ أُعلنتْ إشاراتُ اجتماعٍ عامٍّ عاجلٍ لجلالةِ الملكةِ معَ العشيرةِ.

عادتْ قوافلُ النحل مسرعةً إلى المملكةِ لحضورِ الاجتماعِ العاجلِ؛ تاركةً خلفها الحقولَ الفوّاحة على اتساعها كأنها لوحةٌ خضراءُ تتداخلُ فيها مساحاتٌ تشكيليةٌ من الكُسبَرة وأحواضِ النعناعِ وأعوادِ الياسمينِ وزهورِ الفولِ وأقراصِ العبَّادِ المائلة باتجاه الشمس.

وقربَ الخليةِ اشتدَّ الطنينُ، وتشابكت الأسئلةُ عن سرٍّ هذا الاجتماعِ المفاجئ، ثمَّ فجأةً خيمَ الهدوءُ غيرُ العادى على المكان عندما ظهرت الملكة الأم؛ فى موكبٍ ملوكيٍّ يليقُ بهَا؛ داعيةً قومهَا إلى شُكْرِ اللهِ واهبِ الحياة والنعم، وأكدتِ الملكَةُ علَى ضرورةِ الاستمرارِ فى الجدِ والاجتهادِ والتدبرِ والرويةِ وإعمالِ العقلِ، واستمرتْ فى حديثها الودى؛ قائلةً:

- تعرفونَ أننا؛ نحنُ معشرَ النحلِ؛ شعبٌ عريقٌ فى نظامه ودقته، ومملكتنا فريدةٌ فى سيرِ عملها المتقن وتحركها المستمر، سواءً كانَ هذا فى مواسمِ الربيعِ والصيفِ حيثُ النشاطُ والعملُ والإنتاجُ والتخزينُ؛ أوْ عندَ الراحةِ والبياتِ الشتوى، ومن حكمةِ الله - سبحانه وتعالى - أنه أودعَ فى شهدِنا الشفاءَ من أمراضٍ كثيرةٍ تصيبُ بنى الإنسانِ، فجعلَ فيه فوائدَ فى علاجِ الآدميينَ مما يصيبُ بعضهُم من كحةٍ، وحساسيةٍ، وأرقٍ وحروقٍ، وصرعٍ، وحموضةٍ، وإسهالٍ وإمساكٍ، وبحةِ صوتٍ، وربوٍ، وألمٍ فى العظمِ، وضغطِ دمٍ، و..

هنا قاطعتِ النحلةُ المغرورةُ حديثَ الملكةِ؛ قائلةً:



- حتَّى غذاءِ جلالةِ ملكتنا لم يسلم من يدِ الآدمى، فكبسلَهُ فى كبسولاتٍ، وبرطمه فى برطماناتٍ، وتعددتِ الجيوبُ الآدميةُ التى تنتفخُ من السطوِ على مملكةِ النحلِ!!

عرفتِ الملكةُ - بفراستها - صوتَ النحلةِ المغرورةِ، وأكدتْ لنفسها خطورةَ عدمِ الالتفاتِ إلى العملِ والانسياقِ وراء الاستبدادِ بالرأى، أو العنادِ دونَ علمٍ أو فهمٍ.

لكنَّ الملكةَ حاولتْ تخفيفَ توتُّرِ الجوِّ من حولِها؛ فالتفتَتْ إلى النحلةِ المغرورةِ؛ قائلةً وهى تضحكُ:

- تقصدينَ الـ ROYAL JELLY ؟ إنه أغلى دواءٍ فى أسواقِ البشرِ!!

ثمَّ واصلتْ حديثها مخاطبةً معشرَ النحلِ؛ مكملةً:

ـ أجدادُنا عاشوا دهورًا على الاستقامةِ والعطاء، وقد جذبتْ هذه الميزةُ انتباهَ الإنسانِ بشدة إلى ناتج عملنا، فبدأ ـ الإنسانُ ـ يلتفتُ إلينا ويهتمُّ بنا، و.. هُنا زامتِ النحلةُ المغرورةُ؛ قائلةً في صوتٍ هامسٍ:

ـ تقصدينَ بدأ يعيشُ على كدِّنا!!.

لم يصلِ الهمسُ واضحًا إلى سمعِ الملكة، لكنها عرفتْ مصدره وواصلتْ كلامها:

ـ كنَّا قبائلَ متفرقةً لا مأوى لها، نهيمُ على وجوهِنا بحثًا عن مكانٍ آمنٍ، اتخذنَا

من هضـــابِ الجـــبـــالِ وقـــمـمِ الأشـــجـــارِ وشــواشى النخــيلِ أمــاكنَ نبنى فــوقــهــا أعشاشنَا ونعيشُ حياتَنا:

نخططُ، ونرسمُ، ونطيــرُ لآخــرِ الدنيَا، ونطرزُ ونشـيـدُ الأرضـيـةَ الشـمـعـيـةَ فى أقراصٍ سداسيةِ العيون ونملأها شـهـدًا، ثم تهاجمنُا بين آونةٍ وأخرى لسعةُ بردٍ أو دفــقــةُ مطرٍ أو زخــةُ بردٍ، وإنْ سلمنا من لسعِ البـردِ أو صــهـدِ الحـرِ لا نسلمُ من جيوشِ الأعداء: دبابيرَ، وسحالٍ، وغربانَ، وخفافيشَ، وثعابينَ.. والأدهَى من ذلك كلِّه جـامـعـو العـسلِ البـرى؛ الذين يلاحـقـوننا ويهاجموننا حتى فوق الهضابِ الشاهقة؛ للحصول على أعشاشنا الشمعيةِ بعسلها

مرتفع القيمةِ.. يهاجموننا بعصى البامبُو؛ التى يدفعونها داخلَ أعشاشنا؛ غير مبالين بآلاف من جيوشِ النحل الغاضبِ أو لسعاته المؤلمةِ وطنينه المخيفِ الذى يكادُ يخلعُ القلوبَ.. ومع السنين استأنسنا الإنسانُ، وأبدى اهتمامًا ملحوظًا بنا: صنع لنا خلايا فخاريةً مبطنةً بأعوادِ البوصِ، ثم طورَ خلاياهُ الفخاريةَ إلى خلايا خشبيةٍ؛ بداخلِ كلٍّ منها براويزَ ثبتت عليها مستطيلاتٌ شمعيةٌ لتسهيل عملنَا، وفى مواسم الجفافِ وجدبِ الحقولِ يغذينا بالسكّر المذابِ فى الماء، وخصنَا - أكرمه اللهُ - بمكان ظللتهُ الأشجارُ، وصبىّ من جنسه يعسكرُ فى منحلنا النهار كله، لحراستناوصدِّ أعدائنا

من دبابيرَ وسحالٍ وثعابينَ وفئرانٍ ونمل فارسى وجميعِ ما لا نقدرُ عليه.

١٥نظرت ـ الملكةُ ـ إلى النحلة المغرورة؛ هزتِ الأخيرةُ رأسها مُظهرةً موافقتها على ما قيلَ، ورمت السلام من طرف لسانها، وخرجتْ مندسةً وسط طوفانِ النحل.





اللوحة الرابعة

تغيرتِ النحلةُ المغرورةُ؛ منذُ ذلك اليومِ؛ وأصبحتْ غيرَ مبالية ٍإلا بأمرٍ واحدٍ فقطْ :

حرمانُ الآدمى - الشاهقِ مثل جبلٍ - من شهدِ النحلِ..وبدأتِ المغرورةُ فى تنفيذِ خطتها؛ وهى تتظاهرُ بالنظامِ والعملِ؛ تحكى عن استفزازِ الآدمى لمملكةِ النحلِ،

وازعاجهِ المستمرِّ للحصولِ على أقراصِ الشهدِ..

اقترحت النحلةُ المغرورةُ علَى زميلاتهَا قيام أسراَبِ من النحل بهجومٍ - مخيف - على بنى الإنسانِ؛ يبدأُ الهجومُ بالانتشارِ حولَ أقربِ سكنٍ للآدميينَ وطنينٍ عالٍ مزعجٍ، ثم الارتطامُ بكلِّ ما يقعُ تحت البصر: آدميينَ، أو حيوانات، أو طيور، واستمرارُالهجومِ، ساعات وساعات لبثَّ الرعبِ بينَ بنى الإنسانِ حتى نؤدبَ أهلَ الآدمى - الشاهقِ مثل جبلٍ - ودعتِ النحلةُ المغرورةُ زميلاتهَا إلى امتصاصِ الشهد من العيون الشمعيةِ السداسيةِ؛بدلاً منَ السفرِ آلاف الأمتارِ وراء رحيقِ الزهورِ والورودِ المنتشرةِ بعيدًا عن المملكةِ.. وقالتْ.. واستمرتْ تقولُ...

ومـــرتْ أيامٌ وأيامٌ، الشـــغـــالاتُ تركن أعمالهنَّ، وجيوشُ الحراسةِ لم تعدْ تحملُ السلاحَ، وانتفختْ كروشُ الشغالاتِ من النوم والراحةِ وامتصاصِ العسلِ من أقراصِ الشهدِ داخل خلايا المملكةِ.

سرتْ عدوى دخولِ أسرابِ النحلِ إلى الخلايا لتعملَ خراطيمها فى أقراصِ الشهد، وفكِّ أختامِ العيونِ السداسيةِ؛ بدلا منَ السعى وراء الرحيقِ أو الغذاءِ من سكر الآدمى المذابِ فى الماء، حتى أصبحت العيونُ السداسيةُ قاحلةً وداكنةً؛ وحلَّ فيها الخرابُ..

أيامٌ وشهورٌ وهلَّ الموسمُ..



وذاتَ صباح جَاء الآدمىُّ - الشاهقُ مثل جبلٍ - تعلُو وجهَهُ ابتسامةٌ عريضةٌ خلفَ قناعٍ سلكىٍّ، وأمامهُ مدخنتهُ المهلكةُ التى تبخ دخانًا يشيبُ منه النحلُ العفىُّ..

سمَّى «النحالُ» باسمِ الله، ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسدَ، ورفعَ الغطاءَ الخشبىَّ لأولِ خليةٍ قابلتهُ وعندمَا نظَر فيها غامتْ ضحكتُه الواسعةُ..

والخلية الثانيةُ..

والرابعةُ..

والعاشرةُ.. و... و..

وانهارَ الآدمىُّ - الشاهقُ مثلَ جبلٍ - وغطاهُ عرقٌ باردٌ، وجلَس أرضًا وهو يضربُ كفًّا بكفٍّ؛ ويرددُ فى حزنٍ وأسًى:

- العوضُ من اللهِ؛ الخلايَا خربتْ.. !!

وبعدَ أنْ تمالكَ نفسهُ، سحبَ ابنهُ فى كعبهِ وهو يطلبُ الفرجَ من صاحبِ الفرجِ..

وتَستمر الأيامُ، ويحلُّ الجدبُ، فالعيدانُ ما أورقتْ، ورائحةُ الزهورِ ما بقى لها أثرُ فى لفحِ الحرِّ، والآدمىُّ - الشاهقُ مثلَ جبلٍ - غابَ عن المكانِ، والحارسُ الصغيرُ - قاتلُ الدبابيرِ والسحالى والثعابينَ والنملِ الفارسى - رحلَ ولم يعدْ حتى يبصُّ على المكانِ.

وهلّتْ أسرابُ مغيرةُ من دبابيرَ وسحالٍ؛ فى غزوٍ مُحكمٍ للممالكِ المتجاورةِ؛ وضاعتْ مملكةٌ، وثانيةٌ، وثالثةٌ، وهجَّ الذى هجّ. وراحَ الذى راحَ، وانحسمتِ الموقعةُ

لصالحِ الغزاة، وانفتحت الخلايا للأفواجِ الغازيةِ التي تَشربُ العَسلَ شُربًا وتلتهمُ النحلَ - نفسهُ - التهامًا.

وفي ساعة حرجة؛ وجدت النحلةُ المغرورةُ نفسها محاصرةً من الاتجاهاتِ كلها، وأيقنتْ في قرارة نفسها أنهَا أخطأتْ، ولكنَّ وقتَ تصحيحِ الخطأ كانَ قدْ ولَّى، فقد كانتْ هناكَ سحليةٌ كبيرةٌ واقفةٌ على بابِ الخليةِ مترقبةً النحلةَ المغرورةَ ومنتظرةً تقدمها؛ فاتحةً فمها العميقَ عمقَ بئرٍ في تأهبٍ تامٍّ لالتهامِ الفريسةِ.



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٨٥٣ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7095 - X